معتقل الجفر الصحراوي :
صورة حية للصمود واصرار على متابعة النضال

غازي الخليلي

لا يجافي أي مؤرخ الحقيقة ، اذا اختصر تاريخ الاردن المعاصر بالحديث عن السجون والمعتقلات بشكل خاص وعن القمع والارهـــاب الذي مارسته ، ولا زالت تمارسه ، السلطة الحاكمة في الاردن بشكل عام . فتاريخ هذه السلطة ، هو القمع والاضطهاد للحركة الوطنية ولكل الجماهير . وقل أن تجد انسانا عاش في الاردن لم يعان من عنف هذه السلطة واضطهادها . والحديث عن القمع ومعتقلات الارهاب في الاردن ، حديث يطول ، لانه يشمل حقبة تاريخية تمتد لما يزيد عن ربع قرن ، ولذلك سأحاول التركيز في حديثي هنا ، بالحديث عن معتقل الجفر الصحراوي ، خلال السنوات الثلاث الماضية التي أعقبت مجازر أيلول ، حيث كنت أحد نزلائه ، مستندا في كل ما أنقله على تجربتي الخاصة ، وعلى ملاحظاتي ومشاهداتي الشخصية بشكل رئيسي ، لانقل صورة حية عن مناضلي شعبنا في هذا المعتقل ، الذي بات يشكل جزءا من تاريخهم ، وجانبا أساسيا من حياتهم النضالية .

وحتى تتحدد الصورة في ذهن أي قارىء ، عن هذا المعتقل ، والدور الذي يلعبه في مخطط السلطة القمعي ، لا بد من الحديث في البداية وبشكل عام عن وضع السجون في الاردن .

اذا استثنينا السنوات الثلاث المجيدة (٦٧ ــ ٧٠) التي عاشتها جماهيرنا في الاردن بنهوض المقاومة الفلسطينية المسلحة ، هذه السنوات التي تحررت فيها جماهير شعبنا من قبضة أجهزة القمع ، وبنت خلالها سلطتها الشعبية متخطية سلطة هذه الاجهزة ، وكذلك اذا استثنينا فترات النهوض الجماهيري التي عاشتها الحـــركة الوطنية خلال الربع قرن الاخير ، فانه يمكن القول ، ان جماهير شعبنا ، خارج هذا الزمن المحدد كانت تعيش في سجن كبير ، كانت تعيش حالة اضطهاد وقمع يومي مستمرين، حركتها مراقبة، خطواتها ملاحقة ، أي تحرك ولو بسيط تشعر منه السلطة أنه مضاد لها ، يقمع ، وبكل قوة ، قيود من كل نوع ولون تمارس ، قيود على العمل ، قيود على السفر ، قيود على المعاملات الرسمية ، قيود على التنقل الداخلي ... الخ . العنف يمتد ليشمل المدرسة والمعمل والشارع ، وحتى البيت .. وبالتالي فانه لم يكن يشكل فارقا كبيرا الانتقال من هذا السجن الكبير الى السجن الصغير ذي الجدران الاربعة والضيقة ، استمرار للعنف وللاضطهاد ، وان اتخذ طابعا فرديا ، وبشكل يختلف ــ نسبيا ــ . وقد عبر عن هذا الشعور الكثيرون من ذوي المعتقلين اثناء زيارتهم لهم بقولهم : « ما نواجهه في الخارج لا يختلف كثيرا عما تواجهونه هنا ، بل انتم « المعتقلين » في بعض الحالات ، تعيشون بشكل أفضل منا ، فنحن « الزوار » نشعر بخوف مستمر ، وباللااطمئنان المستمر .. ملاحقات يومية ، ومداهمات ليلية ، واضطهاد وامتهان للكرامة كل يوم » ولقد كانوا صادقين في احساسهم ، وفي كلامهم .